النظم الهندسية والإيقاعية لظاهرة التوالد والنمو للتوريق في الزخارف الإسلامية والإفادة منها في تدريس اللوحة الزخرفية في التربية الفنية.

د/ هند سعد محمد

مدرس بقسم التصميمات الزخرفية بكلية تربية فنية جامعة المنيا

أولاً: مقدمة :

الفن الإسلامي هو فن حضارة كاملة ، ظهر نتيجة تلاحم بين مجموعة من التقاليد لبلدان مختلفة من عربية وتركية وفارسية، والظروف التاريخية كالفتوحات الإسلامية هي التي أسهمت في نشره من شرقه وغربه.

فالفن الإسلامي يدمج في طياته العديد من مختلف التقاليد لبلدان العالم الإسلامي، حتى أصبحت تعرف بفن واحد انتشر مع مرور الزمن في كل أنحاء العالم الإسلامي، والذي يميزه هو خاصيته الواحدة التي لا تخضع لا لزمن أو لعرق معين.

الفن الإسلامي هو شكل من أشكال الفكر والثقافة الإسلامية التي تستند إلى أصول عقائدية ودينية ثابتة، والتي ترجع إلى مبدأ واحد هو توحيد الله سبحانه وتعالى، وكل شكل ثقافي يخالف أو يعارض هذا المبدأ يخرج عن دائرة الإسلام، فالمضمون الإسلامي متوفر في الفن الإسلامي، فلا يمكن أن يطرح عمل فني إلّا بمضامين إسلامية سواء كان في العمارة أو الخط، أو المنمنمات أو الرواية، أو الشعر، وغايته نشر الفضائل والأخلاق والسلوكيات الإسلامية، وبالتالي يبقى المعيار الأساسي لقياس وإدراك مدى إسلامية الشكل الفني هو توافقه مع قيم الإسلام.

إن أهم سمات الفن الإسلامي هي الفلسفة التي يقوم عليها ، المتمثلة في المبدأ الأول والأساسي وهو الاعتقاد، فتكوين المصمم المسلم قائم على إيمانه بالله وبقوته وعظمته ورحمته، فالله عنده هو مركز الكون، وكل شيء يبدأ منه ليعود إليه؛ فالإنسان المسلم يؤمن بأن الحياة بسيطة وليست فارغة من الجمال.

فالفن ظاهرة ثقافية مبدعة وحيوية خلّاقة، بحيث أصبح مطلباً إنسانيًّا، وعليه اهتم المسلمون أيضاً به باعتباره تأملاً شعوريًّا وجدانيًّا روحيًّا، حاول الإنسان المسلم تجسيمه في الواقع، فأنتج آثاراً يشهد بها تاريخ الإنسانية إلى اليوم.

والفن الإسلامي هو فن متجانس، يحيط ببلاد واسعة رغم اختلافها في مزاياها، وهذا التجانس ناتج عن توافق لعدة عوامل واتحادها في هذه البلاد وهي: وحدة الدين بمعنى الدين واحد هو الدين الإسلامي ، وأيضاً أسلوب الحكم فيها واحد، إضافة –وهذا الأهم– وهو رجل واحد يقف على سدة الحكم، إضافة إلى الحياة متشابه إلى حدٍّ ما.

وبالنظر إلى التفاعل مع الجمال في الإسلام، نجد أنه حركة معرفية يرقى بها الإنسان في أي زمان ومكان إلى الكشف عن أسرار الخلق والاستزادة من العلوم والمعارف لينتهي إلى معرفة الخالق جل شأنه، إدراك عظمته سبحانه وتعالى، والوعي الجمالي الإسلامي هو وعي للتفكر والتأمل، يقودنا إلى الجانب الثاني من الجمال وهو الجانب الإيماني ، وهكذا تغدوا الحاجة الجمالية عند المسلم حاجة إيمانية أساسية مرتبطة بحياة المسلم الروحية والعملية.

شأن حضارات عديدة، برعت الحضارة الإسلامية، وأبدعت منذ صدر الإسلام وإلى ونهاية الفتوحات،وعصر تكوين الحضارة الإسلامية في العهدين الأموي والعباسي، برعت وأبدعت هذه الحضارة في ميادين الفن المعماري والفنون الجميلة والتطبيقية، وقد برهن هذا الإبداع على حيوية الدين الإسلامي بنظمه وشرائعه ،كما برهن ودلل أيضاً على قدرة الإنسان المسلم على استخدام الطبيعة والتأمل فيها لتعميق معرفته وثقافته، وإنجاز أعمال ذات طابع جمالي رفيع رائع، أثاره التنوع الواسع للمكونات البشرية للعالم الإسلامي التي تلقفها الإسلام وتبناها ورعاها في مسعاه النبيل لتصبح الحضارة الإسلامية، عبر مختلف عهودها مثالا لازدهار المجتمعات، ومحصلة رفيعة للذوق

والحس الفنيين لما سبقها من حضارات وثقافات، كل هذا رغماً عن الحروب والصدامات التي صاحبت تكوين رؤساء قواعد هذه الحضارة العظيمة ؛ لأن الهاجس الدائم كان الإبداع والتجديد المستمر في تلك الفنون؛ وذلك لتجميل الواقع الحياتي للإنسان المسلم.

وكان التطور الذي أحدثه الإسلام في حياة الناس وأفكا رهم تطوراً جذريا ، والمعجزة القرآنية الرائعة وضعت البشرية أمام وعي جمالي جديد يجد تجلياته في الفكر واللغة والسلوك والفن، ومع احتكاك الدين الإسلامي بثقافات أخرى ظهرت تنويعات في هذا الوعي الجمالي، لكنه لم يتخل عن أطروحاته الجمالية المتمثلة في التوحيد، والوحدة، وهي غاية الفكر الإسلامي.

ونحن في هذا العصر، عصر العولمة، الذي تتقدم فيه العلوم والمعارف بسرعة مذهلة وتتعمق فيه الثقافات، والبحث عن الهوية والأصول، نحاول في هذا الإصدار، وفي جهد متواضع، أن نسير خطوة في سبيل استنباط واستقراء بعضاُ من الجماليات الإسلامية في مجالاًت تختص بالإبداع والفكر الإسلامي الإنساني ،وكشف هذه الجماليات وتسليط مزيد من الضوء عليها، وطرحها بصورتها التي قامت عليها مما يساعد بلا شك في الدخول إلى عوالم الجمال الإسلامي، الأمر الذي يعمق ويزيد من إدراكنا بجوهر الإسلام وفهم أسسه الفكرية الإبداعية التي حملتها حضارة رائعة امتدت أربعة عشر قرنا من الزمان، وما زالت تعطي.

إننا نحاول بهذا الجهد المتواضع، الرجوع إلى تراثنا وجذورنا لعلنا نجد ما نبحث عنه اليوم في تأكيد الهوية والأصول، خاصة وطاقاتنا الشابة، رصيد مستقبلنا، تعاني من هذا الإشكال.

وتراثنا، والحمد والشكر لله، ملئ بالصور والأشكال والرموز، والفنانون المسلمون أنتجوا لنا، وعلى مدى طويل، تجربة رائدة، مثلت تراكما اً فنيا تشكيلي اًستوجب على الدوام، الاعتناء به ومحاورته ودمجه داخل سياق ممارستنا الثقافية، فأمامنا تحديات ومهام أساسية تتعلق بمواكبة التطورات التي تحدث من حولنا، وإظهار مدى قدرتنا على إدراك واستيعاب تعبيرات الحداثة الجمالية.

والمتأمل والدارس للفن الإسلامي يجد أن المصمم الإسلامي وضع لنفسه إطارا محددا ومنظما لفنه بصفة عامة لا يحيد عنه، برغم ذلك فقد استطاع الفنان أن ينمو بفنه نموا كبيرا راقيا كان له تأثير علي الكثير من الفنون المعاصرة ، وتتمثل معالم الإطار الفكري لهذا الفن في عدة جوانب أهمها : هو ضرورة عدم وجود شبهة للتحريم أو الكراهية في نوعية المفردات التشكيلية المستخدمة؛ لذلك لم يكن الفن التشخيصي ذو الأهمية كبيرة لديه كما هو الحال في الغرب " فاستبعدوه من الشعائر الدينية فخرج من محور الحضارة الإسلامية ولم يسمح به إلا في مجالات محددة للغاية مشروطة بعدم المساس بالشخصيات المقدسة أو محاولة تقاليد صنعه الخالق ، فإذا أقدم الرسامون والملونون علي تصوير الطبيعة كان عليهم تحريفها" .

أما الجانب الثاني فيتمثل في أن الفن بالنسبة للفنان الإسلامي ليس هدفا في حد ذاته بل "هو رسالة إيمان وتوحيد بين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها"، لذا فقد التزم الفنانون بقواعد ثابتة لا تتغير إلا في حدود المظهر وليس الجوهر، أما الجانب الثالث فيتمثل في الدقة والإتقان فيما يمارسه من أعمال فنية سواء في مرحلة التصميم أو التلوين إيمانا وتطبيقاً لتعاليم الدين الإسلامي ، "تلك التعاليم التي تحث علي إتقان العمل هو نوع من التقرب إلي الله المحبوب لذاته " أما الجانب الرابع فيتمثل في صعوبة الفصل بين الشكل والمضمون في الفنون الإسلامية ، على وجه العموم ، والزخارف علي وجه الخصوص ، فديمومة حركته التكرارية التي لامبتدأ لها ولا منتهي .

فالهدف من هذا البحث ليس فقط الكشف عن جماليات التوريق الإسلامي بل هو التوصل إلي حلولٍ تشكيلية مستحدثة في بناء اللوحة الزخرفية في مجال تدريس التصميمات الزخرفية بكليات الفنون والتربية الفنية يجمع بين الأصالة والمعاصرة ، ولتحقيق ذلك فإننا في الجزء الثاني من هذا البحث سوف نتعرض بالدراسة التحليلية لظاهرة لتوالد والنمو للتوريق والذي من خلاله تحدد مفهومه ومراحل تطوره و طبيعة ونوع الأشكال والهيئات المختلفة للمفردات التوريقية والنظم الهندسي والإيقاعي التي أعتمد عليها المصمم الإسلامي في تكوينات الزخرفية التوريقية ، وبناء علي ما يتم التوصل إليه من نتائج سوف تقوم الباحثة بوضع تصور نظري مدعم

بالعديد من الأعمال الفنية للفرقة الثانية لطلاب كلية التربية الفنية يوضح من خلالها كيفية استثمار التوريق تعليميا في مجال التصميمات الزخرفية من خلال أسس وعناصر التصميم برؤية جديدة يمكن أن تثري العملية التعليمية وتفتح مجالاً للتفكير والابتكار المتشعب المبني علي هذه الدراسة.

ثانياً: مشكلة البحث : إن ظاهرة التوالد والنمو للتوريق في الفن الإسلامي تُشكل جنباً من الثقافة الإنسانية وعنصراً أساسياً في هيكله البنائي الثقافي ، ومن هذا يسعي البحث إلي كيفية الحفاظ علي عنصر الاستمرار الإنساني للفن الإسلامي وتوظيف وحداته باستخدام التقنيات الحديثة وتوظيفها للتراث الثقافي والحضاري بين الأصالة والمعاصرة في مجالات التصميمات الزخرفية.

وتتضح مشكلة البحث من خلال محاولة الإجابة علي مجموعة من التساؤلات الآتية:-

- هل يمكن الاستفادة من ظاهرة التوالد والنمو للتوريق في الفن الإسلامي لتكون مدخلاً جديداً لتحديث الممارسات الفكري والتقنية في مجال التصميمات الزخرفية مع ما ينص عليه منهج التصميم بالفرقة الثانية بكلية التربية الفنية.
- هل يمكن الكشف عن بعض الحلول الجمالية للتوريق التي يقوم عليها الفن الإسلامي خلال تتبع نظم هندسية وإيقاعية قائمة في بنائها علي هذه النظم برؤية تشكيلية جديدة ومعاصرة؟

ثالثاً: أهداف البحث: يهدف البحث إلي إلقاء الضوء على أهمية التوريق في الفن الإسلامي كفن قومي من التراث الثقافي والحضاري ينبغي الحفاظ عليه وعلي أهميته لعنصر الاستمرار.

- استخلاص النظم الهندسية والإيقاعية توريق في الفن الإسلامي ؛ بغرض كشف القيم الجمالية والتعرف علي الأساليب التقنية التي اتبعها الفنان الإسلامي المختلفة وتطبيقاتها من خلال تصميمات مبتكرة للفرقة الثانية لطلاب كلية التربية الفنية ، يوضح من خلالها كيفية استثمار ظاهرة التوالد والنمو للتوريق تعليميا في مجال التصميمات الزخرفية من خلال أسس وعناصر التصميم.

رابعاً: فروض البحث: يفترض البحث أنه: هل يمكن إنتاج تصميمات زخرفية لمختارات العناصر النباتية للتوريق القائمة علي النظم الهندسية والإيقاعية لتحقيق ظاهرة التوالد والنمو في الفن الإسلامي؟

خامساً: منهجية البحث: يستخدم البحث منهجين من مناهج البحث في هذه الدراسة:

- **المنهج الوصفي التحليلي:** القائم علي جمع المعلومات ذات العلاقة لعناصر النباتية للتوريق وهذا فيما يتعلق بالإطار النظري للدراسة وتوظيفها من خلال تصميمات مبتكرة للفرقة الثانية لطلاب كلية التربية الفنية .
- **والمنهج التجريبي** : عمل تصميمات مبتكرة من ظاهرة التوالد والنمو للعناصر النباتية للتوريق لتحقيق النظم الهندسية والإيقاعية مستوحاة من الفن الإسلامي ؛ وذلك بتطويعها وتطويرها من خلال أسس وعناصر التصميم (التكرار والتراكب والتباين والاتزان والوحدة والإيقاع واللون).

DOI:10.12816/0036547